كتاب الطالب

4 العقيدة الإسلامية

الصف الرابع الإسلامي

للعام الدراسي ١٤٤٤ هـ - ٢٠٢٢ م

جمهورية العراق
ديوان الوقف السني
دائرة التعليم الديني والدراسات الإسلامية
قسم المناهج والتطوير

العقيدة الإسلامية

الصف الرابع الإسلامي

كتاب الطالب

4

لجنة تأليف العقيدة الإسلامية

أ.د. عبد الكريم هجيج طعمه	رئيس اللجنة
أ.د. عمر عيسى عمران	عضواً
أ.د. أحمد خزعل جاسم	عضواً
أ.د. محسن قحطان حمدان	عضواً
أ.م.د أحمد محمد رمضان	عضواً

نسخة مزيدة ومنقحة عام ٢٠٢٢ من قبل لجنة مختصة

أ.د. عبد الكريم هجيج طعمه	رئيس اللجنة
د. أحمد عبد الجبار عمران	عضــواً
د. أسرار ثامـــر هــادي	عضــواً
همـــام طــه	المراجعة اللغوية
د.علي سعيد حمادي	مصمماً

بسم الله الرحمن الرحيم

المُقَدِّمَة

الحمد لله الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ؛ ليظهره على الدين كله ، وكفى بالله شهيداً ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، إقراراً به وتوحيداً وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله (ﷺ) تسليماً مزيداً ...

أما بعد :

فإنه يسرُّ قسم المناهج في دائرة التعليم الديني والدراسات الإسلامية في ديوان الوقف السني في جمهورية العراق أن يُقدم هذا الكتاب إلى طلبتنا الأعزاء في الصف الرابع من الدراسة المتوسطة بعد عرضه على الخبراء المختصين في هذا العلم الذين أوصوا بصلاحية تدريسه لاشتماله على المفردات المنهجية المتوخاة للنهوض بالمستوى العلمي في المدارس الإسلامية، وبناءً عليه تمت المراجعة العلمية واللغوية للكتاب وتنضيده من قبل قسم المناهج والتطوير، لِيُسهم هذا الكتاب بإعداد جيل واعٍ متسلح بما يقوي فيه روح الانتماء إلى تاريخه المجيد ويبعث فيه الهمة إلى بناء مستقبل أفضل .

فنسأل المولى عزوجل أن يكلأ طلبتنا الأعزاء بعنايته ، ويأخذ بأيدينا جميعاً إلى ما يحبه ويرضاه إنه سميع مجيب .

وَآخِرُ دَعْوَانا أَنِ الحَمْدُ لِله رَبِّ العَالَمِينَ

قسم المناهج والتطوير

الوحدة الأولى

مقدمات في العقيدة

عزيزي الطالب : في هذا الباب ستتعرف على الاتي:

المطلب الأول:	خصائص العقيدة الإسلامية
المطلب الثاني:	مصادر التلقي والاستدلال في العقيدة الإسلامية

المطلب الأول
خصائص العقيدة الإسلامية

تمتاز العقيدة الإسلامية بخصائص عديدة ميزتها عن غيرها من العقائد الوضعية والديانات المنحرفة، وسنذكر أهمها كما يأتي:

أولاً: الربانية:

تعد العقيدة الإسلامية ربانية في المصدر والمنهج، وربانية في المقصد والغاية، إذ تستمد أصولها وتعاليمها من الوحي المتمثل بالقرآن الكريم، وما صح من سنة الرسول الأكرم(ﷺ)

قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾

ولكونها ربانية فهي عقيدة كاملة، لا تقبل الزيادة أو النقصان، ثابتة لا تقبل التحريف أو التبديل ، بيّنها القرآن المعجز بنظمه وبلاغته ، لذا فهي ليست من قبيل الإنشاء أو الكلام البشري القابل للنقد والرد، إنما هي حق لاريب فيه، تُحترم وتُطاع طاعة اختيارية لا إجبار ولا إكراه عليها ، بخلاف غيرها من الأفكار والنظريات والمبادئ المستوحاة من الفكر البشري، والتي يعتريها التغيير والنقص والزوال والتحريف، وصدق الله العظيم القائل:

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾

ثانياً: عقيدة الفطرة :

إن العقيدة الإسلامية تتفق مع الفطرة الإنسانية وتتلاءم معها وهذا هو صريح قول الله عز وجل: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (الروم:٣٠)

فالآية دلت: أن الخلقة والهيئة التي في نفس الطفل مهيأة ومعدة لأن يميز بها مصنوعات الله تعالى، ويستدل بها على ربه تعالى ويعرف شرائعه ويؤمن به ، وإلى هذه الحقيقة أشار نبينا

الأكرم (ﷺ) بقوله :

" ما من مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه"

أخرجه البخاري ومسلم

فالحديث ذكر التهويد والتنصير والتمجيس ولم يذكر الإسلام، فلم يقل: أو يسلمانه، وفي ذلك دلالة على أن الإسلام دين الفطرة ولا يحتاج إلى تأثير من الأبوين ، وتتمثل الفطرة في الاهتداء لوجود الله تعالى ووحدانيته ، والإيمان بالأنبياء والرسل (عليهم السلام) ، والشعور والإحساس فطرة بقرارة النفس البشرية إلى وجود يوم آخر يحاسب فيه الناس، وأن الدنيا حياة قصيرة دار ابتلاء والآخرة دار السعادة والبقاء.

ثالثاً: الشمول والوسطية :

يراد بالشمول إذا أطلق على العقيدة الإسلامية : أنه شامل لجميع الجوانب فلم يترك الإسلام زاوية من زوايا العقيدة التي يحتاجها بنو البشر إلا وبينها ويتمثل ذلك الشمول بما يأتي:-

١) أنها عقيدة تفسر كل القضايا الكبرى في هذا الوجود كالإلوهية - النبوة - الإنسان- الكون - المصير قال تعالى : ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴾ الأنعام : ٣٨

وقَالَ تَعَالَى: ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ الملك : ١٤

٢) أنها عقيدة لا تقبل التجزئة ، بل لابد أن تؤخذ كلها دون إنكار لبعضها أو شك في أي جزء منها.

فعقائد الإسلام تتناول جملة أصوله وأركانه وأخباره وأحكامه الثابتة في القرآن الكريم وصحيح السنة النبوية.

ومن معاني الشمولية : شمول النفس الإنسانية في الجمع بين خيري الدنيا والآخرة ، والتوفيق بين الروح والجسد، وتشمل الأمم الإنسانية كافة بلا فرق بين عرق وآخر أو طبقة وأخرى.

ويشمل الإيمان بجميع الكتب المنزلة وبجميع الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام

قَالَ تَعَالَى: ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ﴾ (البقرة : ٢٨٥)

وفي مجال النبوة: فالعقيدة الإسلامية وسطية ليس فيها غلو في مقام الأنبياء (عليهم السلام) إذ أعطت لهم ما يتناسب مع مقامهم الكريم، فلم ترفعهم إلى مقام الألوهية كما اعتقد البعض، كما لم تنزل لهم إلى مستوى لا يليق بهم، كما زعم البعض في أنبيائهم، فهم بشر اصطفاهم الله تعالى وخصهم بالوحي وكلفهم بالرسالة يقول الله تعالى:

﴿ ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٞ ﴾ (الحج: ٧٥)، وجعلهم قدوة حسنة ، فقال سبحانه :﴿ لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا ﴾ (الأحزاب: ٢١).

وفي مجال الإيمان بالغيب: تميزت العقيدة الإسلامية فكانت وسطاً بين من غالٍ في الغيب وسلك طرقاً غير شرعية بما يوافق أهواء النفوس من سحر وعبادة الجن وزعم أن الملائكة بنات الله - تعالى الله عمّا يقولون علواً كبيراً - وبين الماديين والدهريين والقائلين بالصدفة وينكرون كل ما وراء الحس.

فالعقيدة الحق تمتاز بالوسطية وتدعو إلى الإيمان بالغيب إجمالاً مستندة إلى الأدلة القطعية والبراهين اليقينية .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴾ (البقرة:٣)

الواقعية وملاءمتها للعقول السليمة :

يراد بالواقعية: أن المباحث التي تتناولها العقيدة الإسلامية، ليست أوهاماً أو خرافات ، بحيث يستحيل على العقل تقبلها أو فهمها، بل من خصوصياتها أنها توافق العقل، وتعتمد على الحجة والبرهان وتتحاكم إلى العقل فيما تقرره، وتحث على النظر والتفكر، لذا فهي عقيدة تناسب جميع المكلفين.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴾ (الفرقان: ١)

وبسبب هذه الخصوصية نلمس كيف استطاعت عقيدة الإسلام أنْ تقنع مختلف المستويات الفكرية والاجتماعية وغيرها فيتقبلها الطفل الصغير، والفيلسوف الكبير، والمرأة والرجل والمستويات كافة، لأنها عقيدة تحاكي الفطرة ثم هي تدعو إلى الإيمان بإله واحد بأدلّة فطرية وكونية ، والإيمان بصفاته من خلال آثارها على النفس والكون والآفاق ، كما تدعو إلى الإيمان برسول بعثه الله تعالى متمماً به الرسالات (ﷺ) ثم تدعو إلى الإيمان بحياة آخرة، يجزى بها كل مكلف بما عمل من خير أو شر فهذه حقائق واقعية ، تلائم العقول السليمة فهذه بعض خصائص العقيدة الإسلامية، وهناك خصائص وميزات عديدة مثل الإيجابية والوضوح والثبوتية والسهولة واليسر ومعظم هذه الخصائص تندرج ضمن ما ذكرناه سابقاً، فيكتفى بما ذكر خشية الإطالة.

أسئلة المطلب الأولى

السؤال الأول

من خصائص العقيدة الإسلامية:
الربانية - وضح ذلك معززاً الإجابة بالأدلة.

السؤال الثاني

تكلم على أنّ العقيدة الإسلامية فطرية، معززاً الإجابة بالأدلة.

السؤال الثالث

ما مفهوم الشمول في العقيدة الإسلامية، معززاً الإجابة بالأدلة.

السؤال الرابع

تكلم باختصار على الوسطية في العقيدة الإسلامية، معززاً الإجابة بالأدلة والأمثلة.

السؤال الخامس

اتصفت العقيدة الإسلامية بالواقعية وملاءمتها للعقول السليمة، وضح ذلك معززاً الإجابة بالأدلة والأمثلة.

المطلب الثاني
مصادر التلقي والاستدلال في العقيدة الاسلامية

قسّم علماء الكلام والعقيدة مصادر التلقي أو أدلة إثبات العقيدة الإسلامية على نوعين:

الأول : الأدلة النقلية.

الثاني : الأدلة العقلية.

وتوضيح ذلك كما يأتي:

أولاً: فالأدلة النقلية:

ما كان مصدرها القرآن الكريم والمتواتر من السنة النبوية المطهرة عن رسول الله (ﷺ) ، وكلاهما قطعي الثبوت عن رسول الله (ﷺ).

ولكن العلماء اختلفوا في خبر الآحاد ، هل تثبت به العقيدة أم لا ؟ .

فائدة

الحديث المتواتر:
هو ما رواه عن رسول الله (ﷺ) جمع يمتنع عادة أن يتواطأ أفراده على الكذب، لكثرتهم وأماناتهم، ورواها عن هذا جمع مثله ، حتى وصلت إلينا بسند متصل.

١) فذهب البعض: أن أحاديث الآحاد لا تثبت بها العقيدة، وهي تفيد العمل بها دون العلم، أي: دون القطع، وهو مذهب أكثر أهل العلم وجمهور أهل الفقه والمتكلمين ومن أبرز حجج هذا القول: لو أفاد خبر الواحد العلم (القطع) لوجب تصديق كل خبر نسمعه، لكنا لا نصدق كل خبر نسمعه ولو كان ناقله ثقة، فهو لا يفيد العلم .

٢) وذهب البعض: أن أخبار الآحاد يحتج بها في المسائل العقدية ، وأنها تفيد القطع، فهي تفيد العلم الظاهر والعمل معاً ، وهو مذهب كثير من أهل الأثر وبعض المتكلمين .

ومن أظهر أدلتهم: أن النبي (ﷺ) كان يلتقي الناس أفراداً وجماعات في موسم الحج، وكانوا يرجعون إلى بلدانهم، فيخبرون أقوامهم بما سمعوه منه (ﷺ) ، فدلّ على أن خبر الآحاد تقوم به الحجة في قضايا العقائد كالقضايا الفقهية .

٣) وذهب آخرون: أن ما أخرجه الشيخان البخاري ومسلم في صحيحهما أو رواه أحدهما مقطوع بصحته، والعلم اليقيني النظري واقع به ، وهو ما اختاره ابن الصلاح .

والذي يبدو: أن خبر الآحاد لا يحتج به في مسائل العقيدة وهذا هو رأي الأكثرية من علماء المسلمين ، لذا متى صح سند أخبار الآحاد وكانت متونها غير مستحيلة في العقل ، كانت موجبة للعمل بها دون العلم .

ثانياً : الأدلة العقلية:

هي الأدلة المبنية على البراهين اليقينية الجازمة التي يقيمها العقل.

وتسمى بالحكم العقلي ، ويراد به: إثبات أمر لأمر - ك إثبات القدم لله - تعالى-.

أو نفيه -عنه - كنفي القدم عن العالم من غير توقف على تكرار أو وضع واضع، وينقسم الحكم العقلي على ثلاثة أقسام : واجب ، وجائز، ومستحيل ، أي أن كل ما حكم به العقل من إثبات أو نفي لا يخرج عن اتصافه بواحد من هذه الثلاثة ، وسنبين ذلك تفصيلاً في مبحث الحكم .

تقدم : أن أغلب علماء العقيدة وفقوا بين النقل والعقل في مسائل العقيدة كمصادر للتلقي والاستدلال، ومعلوم أن القرآن أخبر بشرف العقل، وجعله مناط التكليف، وندبه إلى البحث والنظر والتفكير - قال تعالى: ﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَا تُغۡنِي ٱلۡأٓيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ ﴾ (يونس: ١٠١)

فلم يأت بما يستحيل على العقل فهمه إلا ما أستأثره الله تعالى في علم الغيب عنده ، فالعقل مؤيد للعقائد الإسلامية .

أسئلة المطلب الثاني

السؤال الأول

أذكر مصادر التلقي والاستدلال عند علماء العقيدة.

السؤال الثاني

قارن بين الأدلة العقلية والأدلة النقلية بعد تعريف كل منهما .

السؤال الثالث

اختلف العلماء في العمل بخبر الآحاد في المسائل العقدية أذكر خلاف العلماء ، ثم بين الرأي الراجح في ضوء ما درست .

العقيدة الإسلامية

الوحدة الثانية

الحكم وأقسامه

عزيزي الطالب : في هذا الباب ستتعرف على الاتي:

المطلب الأول:	التعريف بالحكم
المطلب الثاني:	أقسـام الحكم

الوحدة الثانية
الحكم وأقسامه

يجدر بنا عند الشروع في بيان الحكم وأقسامة التطرق إلى تعريف الاصوليين من علماء أصول الفقه، ثم المتكلمين من علماء العقيدة بهذا الخصوص، وذلك للتلازم الحاصل بين أصول الفقه واصول الدين في هذا الخصوص، وتوضيح ذلك في المطالب الآتية:

المطلب الأول: التعريف بالحكم

أولا: تعريف الحكم لغة:

يطلق على الفصل، يقال: حكمت بين الخصمين إذا فصلت بينهما، ويطلق على: إثبات أمر أو نفيه، ومن معاينة : القضاء والإلزام والمنع، وسمي القاضي حاكما لمنعه الخصوم من التظالم .

ثانيا: تعريف الحكم في العرف :

إسناد أمر إلى آخر إيجاباً أو سلباً .

ثالثا: تعريف الحكم عند الفقهاء:

عبارة عن أثر خطاب الشارع المتعلق بأفعال المكلفين بالاقتضاء أو التخيير .

فمثلاً قوله تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِ﴾ (المائدة: ١) فإن الأثر المترتب على الخطاب: هو وجوب الوفاء بالعقود.

وفي قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقۡرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓ﴾ (الإسراء: ٣٢) فإن الأثر المترتب على الخطاب هو: حرمة الزنا، وهكذا في سائر الأحكام، فالفقهاء يقولون: الحكم في هذا الأمر الوجوب أو الحرمة أو الإباحة.

رابعاً: تعريف الحكم عند الأصوليين:

عرف علماء أصول الفقه الحكم : بأنه خطاب الله تعالى المتعلق بأفعال المكلفين بالاقتضاء (أي: الطلب) أو التخيير أو الوضع .

فالخطاب: توجيه الكلام قصد الإفهام به، والمراد منه: المخاطب به وهو نصوص الوحي في القرآن الكريم والسنة النبوية، وقد أفاد التعريف: أن نص الخطاب الصادر من الشارع الدال على طلب أو تخيير أو وضع يسمى: حكماً.

والغرض من تعلق خطاب الله تعالى بفعل المكلفين : تعلقه ولو بفعل واحد من أفعاله ، وإلا لتعذر وجود الحكم أصلا، إذ لا خطاب يتعلق بجميع الأفعال.

والخطاب: يشمل عموم الأدلة الشرعية التي تثبت بها الأحكام لا خصوص الخطاب المتمثل في القرآن الكريم ، لأن وجوب اتباع النبي (ﷺ) وولي الأمر من بعده واتباع أدلة الاجتهاد الصحيحة إنما وجبت بإيجاب الله تعالى إياها ، فآل الأمر إلى أنَّ الحكم كله لله .

خامسا: تعريف الحكم عند المتكلمين:

هو إثبات أمر لأمر أو نفيه عنه.

والحكم يستلزم: حاكم وهو الشارع. ومحكوم به وهو المعرفة. ومحكوم عليه: وهو المكلف البالغ العاقل .

معنى إثبات الأمر: أي إثبات شيء لشيء ـ كقولنا: الطير جميل، الشجرة طويلة، القلم جيد.

فهذا كله حكم ـ إذ أثبتنا الجمال للطير ، والطول للشجرة والجودة للقلم، وتسمى في علم المنطق : بالنسبة الموجبة ومعنى : نفي أمر لأمر: أي نفي شيء عن شيء كقولنا: القلم ليس أسود اللون، وكقولنا: العصير ليس بارداً، فهذا حكم أيضاً، إذ نفينا عن القلم السواد ، وعن العصير البرودة، ويسمى في علم المنطق: بالنسبة السالبة .

فالحكم إذاً: إثبات شيء لشيء أو نفيه عنه .

المطلب الثاني: أقسام الحكم

عرفنا في المطلب السابق معنى الحكم اللغوي والاصطلاحي ، وفي هذا المطلب سنتناول أقسام الحكم الثلاثة : (الحكم الشرعي ، الحكم العادي ، الحكم العقلي) وذلك لعلاقتها بمباحث العقيدة الرئيسة، إذ ينبغي على المكلف أن يعرف ما قامت الأدلة النقلية والعقلية عليه إجمالا كسائر الكمالات لله تعالى ، وأن يعرف ما قامت به الأدلة العقلية أو النقلية عليه تفصيلا وهو العشرون صفة لله تعالى ، وكذا يقال في المستحيل ، وتوضيح ذلك على النحو الآتي:

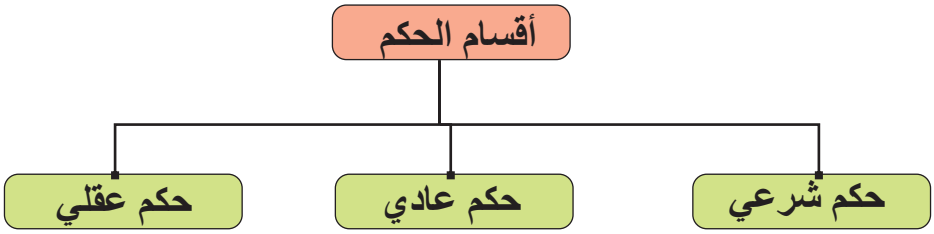

أولا: الحكم الشرعي:

هو خطاب الله تعالى المتعلق بأفعال المكلفين بالطلب أو الإباحة أو الوضع لهما .

ويدخل في الطلب أربعة أشياء :

١) الإيجاب: وهو ما طلب الشارع فعله على سبيل الإلزام، فيثاب فاعله ويعاقب تاركه كسائر الواجبات .

٢) التحريم: وما طلب الشارع تركه على سبيل الالزام ، فيثاب تاركه ويعاقب فاعله ، كسائر المنهي عنها والمحرمات .

٣) النـــدب: ما طلب الشارع فعله على وجه الأفضلية، فيثاب فاعله وليس في تركه عقاب : كسائر النافلات .

٤) الكراهة: ما طلب الشارع تركه من غير إلزام، فيثاب تاركـه ولا يعـاقب فاعله ، كسائر المكروهات.

أما المراد بالإباحة:

فقد عرفت: بأنها إذن الشارع في التخيير بين الفعل والترك كالأكل والشرب وغيرهما .

والمراد بالوضع :

هو جعل الشيء سبباً أو شرطا أو مانعاً ، وتوضيح التعريف كما يأتي:

فالسبب : هو الذي يلزم من وجوده الوجود ومن عدمه العدم بالنظر لذاته
مثاله: كدخول الوقت للصلاة

الشرط : هو الذي يلزم من عدمه العدم ، ولا يلزم من وجوده وجود ولا عدم بالنظر لذاته . مثاله: كالطهارة للصلاة .

المانـع : هو الذي يلزم من وجوده العـدم ، ولا يلزم من عدمه لا وجـود ولا عـدم بالنظر لذاته . مثاله: كالحيض مانع من الصوم والصلاة .

ثانياً:- الحكم العادي:

هو إثبات الرابط بين أمر وأمر وجوداً أو عدماً بواسطة تكرار بينهما على الحس، وعدم تأثير أحدهما في الآخر البتة .

مثاله: الحكم على النار بأنها مُحرِقة، فهذا حكم عادي، أو معناه: أن الإحراق يقترن بمس النار في كثير من الأجسام المشاهدة، وقد تكرر ذلك على الحس، وليس معنى هذا الحكم: أنّ النار هي التي أثرت في الاحراق أو تسخين ما مسته مثلا إذ أن هذا المعنى لا دلالة للعادة عليه أصلا ، وانما غاية ما دلت عليه العادة : الاقتران فقط بين الأمرين، أما تعيين فاعل ذلك فليس للعـادة فيـه مدخـل، ولا منها يتلقى علم ذلك، وقس على هذا سائر الأحكام العادية، ككون الطعام مشبعا والشمس مضيئة والسكين قاطعة ونحو ذلك .

وانما يلتقي العلم بفاعل هذه الآثار المقارنة لهذه الاشياء من دليلي العقل والنقل ، وقد أطبق العقل والشرع على انفراد الله تعالى باختراع جميع الكائنات عموما، وأنّ ثبوت الإحراق للنار من حيث إنها سبب عادي يخلق الله تعالى عنده الإحراق .

ثالثا:- الحكم العقلي :

١ـ تعريفه:

هو إثبات أمر لأمر أو نفيه من غير توقف على تكرار أو وضع واضع.

وبتعبير آخر: هو ما يدرك العقل ثبوته أو نفيه من ذات أو صفة أو نسبة ولا يتوقف على التكرار، أي: غير متوقف على التجربة أو العادة أو السبل الموصولة إليها، لأننا إذا جربنا الشيء أو استنبطناه سيكون حكما عاديا تجريبياً ومن صفاته أنه لا يقبل النقض، إذ العقل يقرر أن النقيضين لا يجتمعان ولا يرتفعان.

مثاله: كإثبات القدم لله تعالى ونفي القدم عن غيره، وهكذا يوصف الحكم العقلي / بأنه غير متوقف على وضع واضع.

مثاله: إذا اتفق الناس على أن الكل أكبر من الجزء فهذا لا ينطبق على الحكم العقلي فالكل أكبر من الجزء والجزء أصغر من الكل سواء اتفق الناس أم لم يتفقوا فهذا حكم عقلي يقيني لا يقبل الشك أو الخطأ.

٢ ـ أقسامه:-

ينقسم الحكم العقلي على أقسام ثلاثة ينبغي على طالب العلم الاعتناء بها لأهميتها في موضوع العقائد وهذه الأقسام: الواجب والجائز (أو الممكن) والمستحيل .

ويمكننا توضيحها على النحو الاتي:

أ-الواجب:

هو ما لا يتصور في العقل عدمه ، أي كل أمر من ذات أو صفة أو نسبة ثابت لا يقبل الانتفاء في ذاته، ولا يحكم العقل بعدمه مثاله:- كذات الله تعالى وصفاته ، وهو قسمان:

ضروري: كالتحيز للجرم ،فإنه مادام الجرم موجوداً يجب أن يأخذ قسطاً من الفراغ، فهو واجب مقيد بدوام الجرم

ومعنى الضروري: أي بديهي وهو الذي يدركه العقل بلا تأمل : كالواحد نصف الاثنين، واستحالة صنعةٍ بلا صانع.

ومعنى النظري : هو الذي يدركه العقل بالتأمل، كثبوت القِدم لله عز وجل وحدوث الكون.

ب- الجائز والممكن:

هو ما يصح في العقل وجوده وعدمه ، أي: كل أمر قابل في حد ذاته للانتفاء والثبوت فهو ممكن الوجود وممكن العدم .

مثاله: كسائر الممكنات .

وهو قسمان:-

ضروري: كحركة الجرم أو سكونه.

ونظـري: كتعذيب المطيع وإثابة العاصي، فهذا يقال له من باب الإمكان العقلي ، فيحكم العقل بإمكانية وجوده أو عدمه، فيجوز عقلاً أن يعذب الله تعالى المطيع ، ويثيب العاصي لكن من ناحية شرعية ممتنع وهكذا .

ت - المستحيل:-

هو ما لا يتصـور في العقل وجوده ، أي كل أمر من ذات أو صـفة أو نسبـة لا يقبـل الثبوت في ذاته، فلا يحكم العقل بوجوده.

مثاله: كالشريك والزوجة والولد لله تعالى، فهذا مستحيل عقلاً .

وهو قسمان :

- ضروري: كخلو الجرم من الحركة والسكون معاً .
- نظري: كالشريك لله تعالى .

هذه هي أقسام الحكم العقلي / وقد نصح العلماء بضروة تعلمها وفهمها، لأهميتها في مباحث العقيدة، وقرروا أن مصدر معرفتها العقل، بناء على أن العلم بوجوب الواجبات وجواز الجائزات واستحالة المستحيلات ، أي تصور مفهوماتها، بأن يتصور العقل: أن الواجب: ما لا يقبل العدم، والمستحيل: ما لا يقبل الوجود ، والجائز: ما يصح وجوده وعدمه، فهذا مما لا يستغنى عنه في مباحث العقيدة، لذا نجد كثيراً من علماء العقيدة يجعلونه مطلباً في بداية تأليفهم لكتب العقيدة.

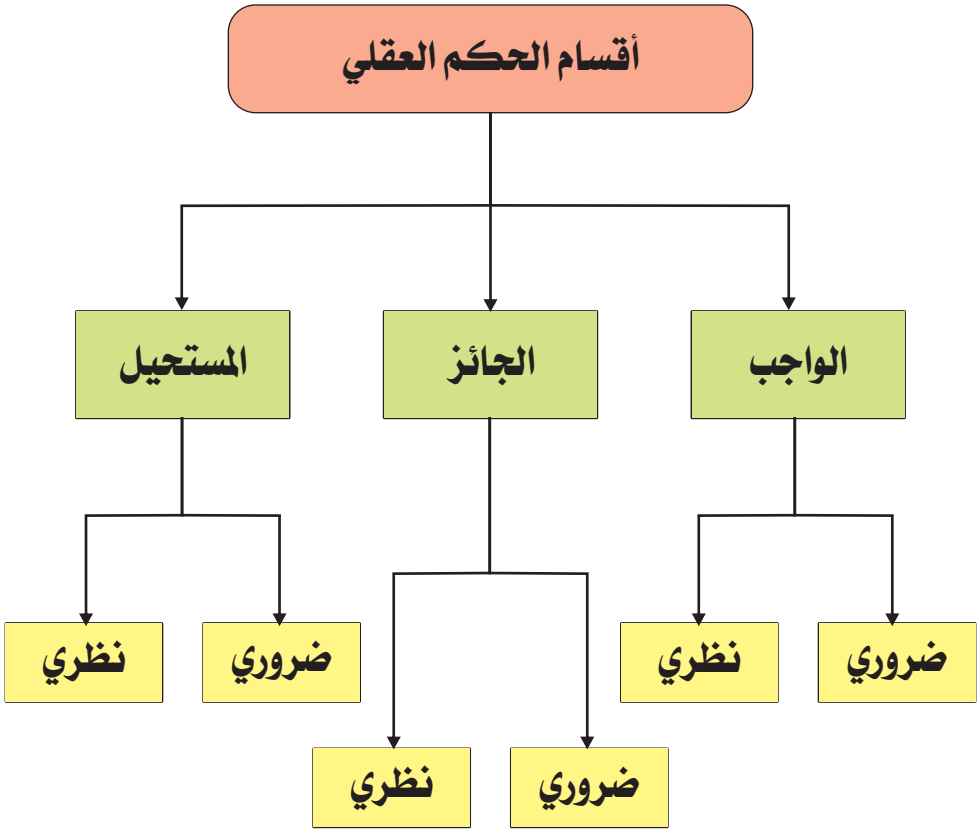
أقسام الحكم العقلي
الواجب
الجائز
المستحيل
ضروري
نظري
ضروري
نظري
ضروري
نظري

أسئلة الوحدة الثانية

السؤال الأول

عرف الحكم عند أهل اللغة واصطلاح الاصوليين والمتكلمين معززاً إجابتك بالأمثلة.

السؤال الثاني

وضح الفرق بين الحكم عند الأصوليين، والحكم عند المتكلمين، مع مثال لكل منهما.

السؤال الثالث

عدد أقسام الحكم، وما تعريف كل واحد منها.

السؤال الرابع

فصل القول في الحكم العقلي ـ تعريفا وأقساماً معززاً الإجابة بالأمثلة.

السؤال الخامس

اعمل خريطة مفاهيم تبين فيها أنواع الحكم واقسام كل نوع .

السؤال السادس

مثل لما يأتي : الواجب من أقسام الحكم العقلي ـ المستحيل ـ الجائز و الممكن
الحكم العادي ـ السبب

العقيدة الإسلامية

الوحدة الثالثة

الحكم العقلي في مبحث الإلهيات

عزيزي الطالب : في هذا الباب ستتعرف على الاتي:

مدخل	
المطلب الأول	الواجب في حق الله تعالى
المطلب الثاني	المستحيل في حق الله تعالى
المطلب الثالث	الجائز في حق الله تعالى
المطلب الرابع	القضـاء والقـدر

مدخل

الإلهيات:

هي المباحث التي تُعنَى بمعرفة ما يجب لله تعالى، وما يجوز في حقه، وما يستحيل عليه جلَّ شأنه ، ومع أنَّ العقل الإنساني لا يتمكن من إدراك حقيقة الذات الإلهية مهما حاول الوصول إليها ؛ إلَّا أنَّ معرفة الله تعالى من خلال آثاره وآثار صفاته العلية ، وبأنَّه صانع العالم، وأنَّه (سبحانه وتعالى) قديم، وسميع ، وبصير، وقدير، وغير ذلك من الصفات التي سنفصل فيها لاحقاً ستسهم في تحفيزنا نحو بذل الطاعة والعبادة، والتخلق بأخلاق أهل البرِّ والسيادة التي من شأنها أن تحقق لنا سعادة الفرد وطمأنينة المجتمع والعيش الرغيد لهما.

ومما يجدر أن نشير إليه هنا : هو أن العقل الإنساني مهما بلغ به الذكاء ؛ فهو محدود وقاصر، ولن يكون في مكنته يوما أن يدرك جميع الحقائق وحده؛ بل لابد من الوحي الذي هو قائد له يضيء له معالم الطريق، وينير له دربه، وليس ذلك بقادح في العقل ومداركه- كما يتصور بعضهم - بل العقل ميزان صحيح ؛ فأحكامه يقينية لا كذب فيها غير أنك لا تطمع أن تزن به أمور التوحيد والآخرة وحقيقة النبوة وحقائق الصفات الإلهية ، وكل ما وراء طوره؛ فإنَّ ذلك طمعٌ في محال، ومثال ذلك مثال رجل رأى الميزان الذي يوزن به الذهب ؛ فطمع أن يزن به الجبال ، وهذا لا يدرك على أن الميزان في أحكامه غير صادق ؛ لكن للعقل حدٌّ قد يقف عنده ، ولا يتعدى طوره .

والعقل في ذلك حال العين الباصرة ؛ فهي تبصر الأشياء بشرائط معينة أهمها وجود الضوء ؛ فلو وجد أحد سليم العين والباصرة في غرفة مظلمة؛ فلن يستطيع الرؤية لغياب الضوء، ولعل محدودية العقل ومحدودية صفات البشر هي من رحمة الله تعالى بهم ؛ فلو تعدى الإنسان طوره ، وتجاوز حدّه لاستحال عليه أن يعيش على وجه الأرض ، ولو تخيلنا أن بمكنة البشر أن يشموا الروائح على مسافة عدة كيلومترات، فلن تستقيم حياتهم بوجود الروائح الكريهة، ولن تستقيم حياتهم، وأبصارهم تدرك المناظر القبيحة على بعد مسافتها ، ولن تستقيم حياتهم ، وآذانهم تسمع الأصوات الدقيقة على بعد المسافات، وهكذا

في بقية الصفات؛ وكذلك الحال في العقل الإنساني حين يروم تقحم ميدان الربوبية والبحث عن الذات الالهية ؛ فسيعود خائبا كسيرا معترفا بنقصه ، أو الوصول للجنون؛ فالعقل كآلة جزِّ العشب إن أحسن استخدامها وقيادتها أتت على جز العشب اليابس والضار، وأبقت ما هو صالح ونافع ، وإنْ خُلّيت ونفسها من غير قائد أو من غير حكيم عارف باستخدامها فستأتي على الأخضر واليابس؛ لتصبح الأرض جرداء قاحلة ليس فيها أثر للجمال والحياة.

المطلب الأول الواجب في حق الله تعالى

يجب لله عز وجل عشرون صفة ، وهذا مقدار ما وصلت إليه عقول البشر من معرفة الله تعالى، وقدرت على إقامة الدليل عليه ، وإلا فلله تعالى صفات لا عدد لها ؛ إذ كمالاته تعالى التي هي صفاته الوجودية لا نهاية لها ، ولا يمكن تحديدها بهذا العدد ؛ فالله تعالى وحده من يعلم عددها؛ لقول النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث المشهور:

((أسألك بكل اسم هو لك سميّت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علمته أحداً من خلقك، أو استأثرتَ به في علم الغيب عندك...)) أخرجه أحمد في مسنده ، وما استأثر الله تعالى به في علم الغيب لا يمكن لأحد حصره، ولا الإحاطة به، قال ابن القيم في شفاء العليل : (الحديث دليل على أن أسماء الله أكثر من تسعة وتسعين، وأن له أسماء وصفات استأثر بها في علم الغيب عنده لا يعلمها غيره).

والصفات الواجبة لله تعالى أربعة:

الصفة النفسية، والصفات السلبية، وصفات المعاني، والصفات المعنوية :

١- الصفة النفسية: وهي صفة واحدة وهي "الوجود".

٢- الصفات السلبية: وهي خمس، وهي: (الوحدانية، القدم ، والبقاء ، والقيام بالنفس ، والمخالفة للحوادث).

٣- صفات المعاني: وهي سبع صفات وهي: (العلم ، القدرة ، الإرادة، الحياة، السمع ، البصر، الكلام) .

٤- صفات المعاني: وهي سبع صفات وهي: (أنه تعالى حيٌّ ، وسميع ، وبصير، ومتكلم، ومريد، وقادر، وعليم).

وفيما يأتي تفصيل لما لهذه الصفات وما يتعلق بها من مباحث:

أولا: الصفة النفسية (الوجود):

عرفت الصفة النفسية، بأنها صفة ثبوتية يدل الوصف بها على نفس الذات، أي تدل على التحقق والثبوت للذات ، بلا معنى زائد عليها ، ككون الجوهر جوهراً ، وذاتاً وشيئاً موجوداً.

والصفة النفسية لله تعالى : هي "الوجود"، وسبب تقديم الوجود على بقية الصفات ؛ لأنَّه كالأصل بالنسبة لها، ووجود الله تعالى لا يشبه وجود مخلوقاته؛ لأنَّ وجود الله ذاتي له أي ليس بتأثير مؤثر وفعل فاعل، ووجود الحوادث تبعي بتأثير الله وفعله، وعلى هذا ؛ فوجود الله يليق بأزليته وبخالقيته، ووجود الإنسان يليق بضعفه وعجزه، بكونه كان عدماً؛ فأوجده الله تبارك وتعالى .

الأدلة النقلية:

الدليل على صفة الوجود من القرآن الكريم قوله تعالى:

﴿ أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ ٱلْمُصَيْطِرُونَ ﴾ (الطور: ٣٥ - ٣٧)

ومن السنة قوله صلى الله عليه وسلم:

((إن الله خالق كل صانع وصنعته...)) أخرجه الحاكم في المستدرك .

ووجه الدلالة : من الآية الكريمة والحديث الشريف تقوم على القول باستحالة أن يكون الخلق من غير خالق ، إذ لا بد للمخلوق من خالق، وللمصنوع من صانع؛ فالعدم لا يخلق، وزعم خلاف ذلك أمر مستحيل تنكره العقول ؛ ففاقد الشيء لا يعطيه ، وهذا دليل غاية في القوة والبيان ، ولذلك عندما سمعه جبير بن مطعم قال : " كاد قلبي أن يطير" ؛ بل كان سماعه لهذه الآية الدافع الرئيس لإسلامه.

الأدلة العقلية:

ومن الدلائل العقلية على كون الله تعالى واجب الوجود ، هو أن لكل أثر مؤثراً ، فلابدَ إذن لهذا الوجود من مُوجِد، ولا مُوجِد بلا وجود؛ فثبت بذلك أن الله تعالى موجود، ويتميز

هذا الوجود بالوجوب ، لأنه لو كان حادثاً لافتقر إلى مُحْدِثٍ ، ولو افتقر إلى مُحْدِثٍ، لافتقرَ مُحْدِثُه إلى مُحْدِثٍ ؛ فيلزم الدور والتسلسل ، وكلاهما باطل ، أما كـون الدور والتسلسل باطلين ؛ فلعلمنا بأننا موجودون والكون من حولنا موجود ، وما دمنا والكون موجودين ؛ فيقيناً أن الدور والتسلسل باطلان ؛ إذ لو لم يبطلا لما تحقق وجودنا، ونظير ذلك لـو كـان عند أحدهم معاملة يروم توقيعها من قبل أحد الموظفين، ولنفرضه (أ)؛ فامتنع حتى يوقعها الموظف الثاني، ولنفرضه (ب) الذي امتنع بدوره حتى يوقعها الموظف(ج) ؛ فيقينـاً أننا على وفق هذه الحالة لن يكون في مكنتنا توقيع المعاملة ؛ لكن إذا وقعت المعاملة ؛ فسنقول حينها: إن التسلسل قد بطل في هذه الحال ، وأمَّا دليل بطلان الـدور؛ فلنفرض الافتراض السابق، ونأتي بالمعاملة للموظف (ج) الـذي امتنـع من توقيعها حتى يوقعها الموظف (أ) ، والذي بدوره لن يوقعها حتى يوقعها الموظف (ب)، والذي امتنع عن توقيعها أيضـا حتى يوقعها الموظف(ج)، وبهذا أيضاً لن توقع المعاملة، وسنقع في الدور، ولن يرفعه إلا توقيع المعاملة.

أدلة وجود الله ـ تعالى-:

لاشك بأنَّ أكثر الحقائق بداهة ووضوحاً هي عقيدة الإيمان بوجود الله تعالى ، ولهذا لـم ينقل على مرِّ التأريخ من أنكر هذه الحقيقة وجادل فيها؛ إلا عن شرذمة قليلة لا يلتفت لهـا، ولا يعبأ بميزانها، ورحم الله الإمام البوصيري في بردته حين يقول:

قد تنكر العينُ ضوءَ الشّمس من رمد وينكر الفمُ طعمَ الماء من سقم

والإيمان بوجود الله تعالى أمر كان ينبغي ألاَّ يختلف النّاس فيه ؛ لأنَّ دلالة الأثـر على المؤثر، والنظام على المنظّم، والإحكام على الحكيم بدهية ؛ بل قالوا: إن ذلك ممّا يدركـه الحيوان فضلاً عن الإنسان ؛ فإنك إذا ضربت الحمار مثلاً التفت ليرى من ضربه ؛ لأنـه مركوزٌ في فطرته أنَّ الأثر لا يكون بلا مؤثر، والفعل لا يكون بلا فاعل ؛ فإذا رأيت كلمة مركبة من ثلاثة حروف لم تشك في أنَّ كاتباً كتبها ، وإن رأيت ساعة تشير إلى الأوقـات أيقنت أنَّ لها صانعا رتب أجزاءها، وأعدّها لتلك الغاية. وقد أقام العلماء الكثير من الدلائل على وجود الله تعالى، بيد أن ما قرره القرآن الكريم يعد أقوى الدلائل وأجلاها وأوضحهـا لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد، ونشير هنا بإيجاز لأبرز هذه الدلائل:

١) دليل الخلق والاختراع :

وهو من أوضح الأدلة التي ساقها القرآن الكريم ، للاستدلال على وجود الخالق؛ فالأرض والسموات وكل ما فيها، مبتدعة لا على مثال سابق، وكذلك الحيوانات والنباتات كانت جماداً ثم انبعثت فيها الحياة؛ فنعلم من هنا قطعاً أنه لا بدَ من موجد للحياة، مُختَرِعٍ لها؛ فلا يصح أن يوجد مُختَرَعٌ من دون المُختَرِع ، وهو الخالق لهذا الكون عز وجل كما أن ما يظهر من تكوين هذه الأشياء وإيجادها بعدما كانت معدومة غير موجودة أقوى دليل على موجدها، وهو الله تعالى، قال تعالى:

﴿ أَوَلَمْ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيْءٍ وَأَنْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ ۖ فَبِأَيِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ﴾ (الأعراف: ١٨٥)

ولهذا جاء على لسان الأعرابي عندما سُئل عن دليل وجود الله ؟ فقال: البعرة تدل على البعير، وأثر الأقدام يدل على المسير؛ فليلٌ داج ، وسماءٌ ذات أبراج ، وأرضٌ ذات فجاج ، وبحورٌ ذات أمواج ألا تدلُّ على السميع البصير!!؟ ، ولعلَّ من أهم خصائص هذه الحياة الدنيا أنَّها فانية؛ فهي محكوم عليها بـ (الفناء)، و(التغير) و(الزوال) في كل وقت وحين ؛ فالشمس تشرق على أقوام ، وتغيب عن آخرين ، والليل والنهار يعملان في ابن آدم ويصرخان في صماخه، يابن آدم إنما أنت أيام؛ فإذا ذهب يومٌ ذهب بعضك، وهكذا تبدأ دورة الحياة لتنتهي بالموت ؛ لتعود مرة ثانية فتبدأ من جديد دورة أخرى ، وهكذا لتقرر في خلد الإنسان بأن ثمة ربًّا حكيما مدبِّرا لهذا الكون، يجازي بالإحسان إحسانا ، ويعفو عن الذنب ويأخذ بالذنب، وكل شيء عنده بمقدار، وأن هذه الحياة ستؤول للزوال ويبقى الواحد القهار، وقد ضرب الله لها مثلا في قوله:

﴿ إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (يونس : ٢٤)

فالآية الكريمة تشير إلى أهم الحقائق التي غفل عنها الإنسان مع أنها تحت ناظريه تحدث يوميا ؛ إنها دورة الحياة والموت في الطبيعة ؛ إذ ينزل ماء الحياة في فصل الخريف وفصل الشتاء ، غيثا يبعث النبات من أعشاب وزروع؛ فتبتهج الأرض بالربيع الزاهر، وتحتفل بموسم الجمال أشجارا وأطيارا وأنهارا وزخرفة تعلو الروابي والبساتين والسهول؛ فتكون أشبه ما تكون بالحسناء المتزينة بشتى التلاوين وفنون التقيين، حتى تكون في أسحر أحوال الإغواء والإغراء! ذلك أن الزخرفة الصارخة تلقي على قلب الإنسان شباكا سحرية ؛ فتستوعب كلَّ وجدانه وتفكيره؛ فلا يرى شيئاً بعد ذلك إلاَّ من خلالها حتى إذا جاء المصيف، وأنضجت الزروع حبوبها كان الحصاد مآلها؛ فلا ترى لها في الأرض أثراً إلاَّ هشيماً من حصيد! تماماً كما تتناثر أوراق الأشجار عند الخريف، لقًى ذابلاً، تذروه الرياح بكلِّ البطاح؛ فتعوي ريح الفناء بالوديان والقيعان، لتكنس كلَّ أثر للحياة، وكأنَّ الأشجار المتحطمة الأغصان، ما أورقت قط ولا أزهرت، وكأنَّ الأطيار الراحلة في الأفق البعيد ما عششت هاهنا، ولا غردت! ﴿ كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ ﴾ (يونس: ٢٤).

فعلى الإنسان أن يتدبر هذا المثل القرآني حقَّ التدبر، وأن يعيه جيدا كي يستطيع أن يتشارك مع بني جنسه هذه الأرض، ويعمرها وبخاصة مع من ينتسبون لدينه، ولا يحرق الحرث والنسل والبلاد والعباد بدعاوى فارغة وفهم سقيم؛ بل عليه استغلال وقته وطاقته في خدمة دينه ومجتمعه وأبناء مجتمعه.

٢) دليل الفطرة:

الفطرة في اللغة: هي الإتباع والاختراع، والفطرة بالكسر الخلقة، والفطرة ما فطر الله عليه الخلق من الإيمان به تعالى وبوجوده.

واصطلاحاً: هي التهيئة لقبول الدين .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (لقمان: ٢٥)

فهذا اعتراف ثابتٌ عندهم من مبدأ خلقهم، وقد جبلت عليه عقولهم ؛ فكانوا يقـــرون بأنَّه الخالق والرازق، وإنَّما أمره أن يقول الحمد لله على إقرارهم؛ لأنَّه فـي هـــذا الإقـرار إلزام الحجة ؛ فيوجب عليهم التوحيد، ولكن أكثرهم لا يعقلون توحيد الله تعالى مع إقرارهم بأنَّ الله تعالى هو الخالق والرازق .

فـ (الفطرة) إذن: حالة وهيئة دينية خُلِقَ عليها الناسُ ابتداءً، ولكن ماذا تعني هذه الحالة الدينية؟ فإذا رجعنا إلى النصوص فإن أول ما ينصرف إليه الذهن من الحديث المشهور: (مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ وَيُنَصِّرَانِهِ وَيُمَجِّسَانِهِ، كَمَا تُنْتَجُ الْبَهِيمَةُ بَهِيمَةً جَمْعَاءَ، هَلْ تُحِسُّونَ فِيهَا مِنْ جَدْعَاءَ؟)

فهذا الحديث يشير إلى أن المولود لو ترك مع فطرته الأصلية لما كان على شيء من الأديان الباطلة والأفكار المنحرفة، وأنه إنما يَقدمُ على الدين الباطل لأسباب خارجية، وهي سعي الأبوين في ذلك وحصول الأغراض الفاسدة من البغي والحسد فذكر الأبوين إنما هو مثال للعوارض التي هي كثيرة ، وقوله تعالى: ﴿ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ﴾ (الروم: ٣٠) يحتمل تأويلين:

أحدهما : أن يريد بها هذه الفطرة المذكورة، أي اعلم أن هذه الفطرة لا تبديل لها من جهة الخلق، ولا يجيء الأمر على خلاف هذا بوجه.

والآخـــر: أن يكون قوله: ﴿ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ﴾ إنحاء على الكفرة اعترض به أثناء الكلام؛ كأنه يقول:أقم وجهك للدين الذي من صفته كذا وكذا ؛ فإن هؤلاء الكفار قد خلق الله لهم الكفر ولا تبديل لخلق الله، أي أنهم لا يفلحون؛ فالتعليل حينئذ من

جهة أن سلامة الفطرة متحققة في كل أحد؛ فلا بد من لزومها بترتيب مقتضاها عليها وعدم الإخلال به بما ذكر من اتباع الهوى وخطوات الشيطان ذلك إشارة إلى الدين المأمور بإقامة الوجه له أو إلى لزوم فطرة الله المستفاد من الإغراء ، أو إلى الفطرة إن فسرت بالملة والتذكير بتأويل المذكور أو باعتبار الخبر.

فالأبوان لم يُغَيرا فطرة ولدهما، ولم ينزعاها منه؛ وذلك لأنَّ الفطرة أمر ثابتٌ لا يستطيع أحد أن يغيره، أو أن يُبدِلَه، وإنما كان فعلُ الأبوين مقتصراً على توجيه ولدهما إلى الطريقة التي يريدان أنْ يُشبعا ولدهما غريزة التديُّن عنده بعد أن كبر؛ فاليهودي يزين لولده طريقة الإشباع التي يشبع بها اليهود هذه الغريزة. والنصراني يُحبِّبُ لولده الطريق التي يشبع بها النصارى غريزة التديُّن عندهم. والمجوسي يوجهُ ولدَه إلى أن يشبع غريزة التدين عنده على وفق إشباع المجوس لها. وهكذا كل ملةٍ تزين لأبنائها طريقة الإشباع الخاصة بها على وفق معتقدها.

وعلى هذا الأساس: فإنَّ كلَّ آيةٍ أو كلَّ حديثٍ يدلُ على وجود انحراف في الفطرة عند الإنسان فلا يعني ذلك أنَّ الانحراف قد حصل بسببِ تغيير الفطرة عنده ؛ ذلك لأنَّ الفطرة أمر ثابتٌ لا يتغير ﴿ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا﴾ (الروم: ٣٠) وإنَّما يكون الانحراف قد حصل بسبب الإشباع الخاطئ أو الإشباع الشاذّ، والإشباع المحرم الذي أشبع الإنسان غريزة التديُّن لديه.

فالأمور الفطرية كما أنَّها موجودة عند كل إنسان؛ فإنه يضاف إلى ذلك أنها من الأمور الثابتة له ، فلا تتبدل ولا تتغير ، ولا يستطيع أحد أن يُغيرَ الأمور الفطرية عند الإنسان ﴿ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (الروم: ٣٠)

ويدلّ على ذلك آية أخرى، تقول:﴿ صِبْغَةَ ٱللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً﴾ (البقرة: ١٣٨) والصبغة هي التلوين ، والصبغ هو من يلون الحيطان ؛ فقد يلون الحائط بلونه نفسه كالأبيض يصبغه بالبياض؛ فيزداد نصاعة وضياء، وقد يلون بلون مغاير فيذهب

بلونه الأصلي ، ويختفي فلا يكاد يعرف اللون الأصلي ، وهذا حال المعاني الواردة في الفطرة أو الصبغة؛ فالمولود يولد على الفطرة، وهي التوحيد والإسلام؛ لكن لا يلبث الأبوان أن يصبغاه بلون مغاير يذهب باللون الأصلي كما يفعل النصارى لأولادهم، أو لمن يريد الدخول في دينهم؛ إذ يعملون على تعميده.

أما نحن المسلمون فالحمد لله تعالى لا زالت الفطرة من الله تعالى، ولا زال التلوين على وفق الشريعة السمحة؛ فلم يطرأ عليها تبديل وتغيير، وهي فطرة الإسلام وصبغة الإسلام؛ لكن يجب توخي الحذر في خضم الواقع الذي نعيشه وفي ظل الواقع الافتراضي الذي تفرضه مواقع التواصل الاجتماعي من فيسبوك وتويتر والتليغرام فضلا عن برامج الفايبر والواتس آب وسناب شات والانستيغرام والمجاميع المشتركة فيها - من إثارة الشبه والانسياق وراءها والتعاطي مع الأفكار الهدامة وآثارها السلبية في وعي النشء المسلم وبخاصة إذا كان مفتقدا لأدوات المعرفة، والمعارف الدينية الضرورية ونحوها- وإسهاماتها السلبية في تشكيل العقل في ضوء المدخلات الخاطئة لهذه المواقع مما يترك أثره السلبي في بناء الفرد وتعزيز قيم الإيمان والمواطنة.

أسئلة

السؤال الأول

لله تعالى عشرون صفة، وتقع تحت أربعة عناوين، أذكرها بالتفصيل.

السؤال الثاني

عرف الصفة النفسية واذكر دلائلها بإيجاز.

السؤال الثالث

تكلم على دليل الخلق والاختراع ودلالته على وجود الله تعالى بالتفصيل.

السؤال الرابع

بين بطلان كل من الدور والتسلسل بإيجاز.

السؤال الخامس

تكلم على دليل الفطرة ودلالته على وجود الله تعالى بالتفصيل.

ثانيا: الصفات السَلبيّة:

وهي التي دلت على سلب ما لا يليق به سبحانه ، أي تسلب من الذهن أضدادها ، فهي تنفي كل أمر لا يليق به تعالى، فالقدم سلب لأولية الوجود، والبقاء دلَّ على نفي الآخرية التي لا تليق بالله تعالى وهكذا .

والصفات السلبية كثيرة وغير منحصرة على الصحيح ، لأن النقائص كثيرة الأنواع ، إلا أن هناك خمس صفات تعد من مهمات أمهاتها، ولأن الشارع الحكيم لم يكلفنا تفصيلا إلا بها.

وبيان تلك الصفات على النحو الآتي :

١) الوحدانية :

إن بحث الوحدانية من أشرف مباحث العقيدة الإسلامية، ولذلك سمي هذا العلم باسم مشتق منها؛ فقيل (علم التوحيد) ، وذلك لأهمية التوحيد ، وقد اهتم القرآن الكريم بهذه القضية كثيرا؛ إذ الأنبياء عليهم السلام جميعاً قد دعوا إلى توحيد الله تعالى ونفي الشرك، وهذا أمر مشترك بين جميع الأديان السماوية، وكثير من الآيات القرآنية تدعو إلى توحيد الخالق قال تعالى: ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤ ﴾(الإخلاص: ١ - ٤) ، وقال تعالى: ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ﴾ (الأعراف: ٥٩) وغير ذلك من الآيات القرآنية والأدلة النقلية.

فالوحدانية في الذات تعني : أن محدث هذا العالم ليس مركبا من أجزاء ، كما هو الحال في بعض النحل - قديما وحديثا - والتي تجسِّم معبودها وتصور بصور شتى من أصنام وتماثيل وهياكل وأوثان مصنوعة من ذهب وحجر ونحوه، ووحدانية الرب نعني به: أنَّه غير متعدد بحيث يكون ثمة إله ثان؛ فهو واحد من غير تركيب ولا تعدد.

أمَّا الوحدانية في الصفات؛ فتعني: أن محدث العالم ليس له قدرتان، وعلمان أو صفة لأحد تشبه صفته تعالى.

والوحدانية في الأفعال تعني: أنه لا يوجد فعل لأحد كفعل الله ، أو ليس معه أحد يشاركه في إحداث العالم ؛ فلا يوجد لغير الله فعل من الأفعال على وجه الإيجاد ، وإنما ينسب الفعل لغير الله تعالى على وجه الكسب والاختيار.

وقد استدل العلماء على صفة الوحدانية بما يأتي:

الأدلة النقلية:

١- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ (البقرة: ١٦٣)، ووجه الدلالة في هذه الآية المباركة، يكمن في إخبار الله تعالى أنَّه هو المستحق بالعبادة، ولا شريك له يصح أنْ يعبد أو يسمى إلهاً، وفيها تقرير بالوحدانية؛ لأنَّ الله تعالى هو مولى النعم كلِّها أصولها وفروعها، وما سواه إمَّا نعمة أو منعم عليه ؛ فلم يستحق العبادة أحد غيره.

الأدلة العقلية:

ومن أشهر الأدلة العقلية التي اعتمدها معظم المتكلمين في إثبات الوحدانية ونفي الشريك هو برهان التمانع، وهذا البرهان مستنبط من قوله تعالى:

﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ (الأنبياء: ٢٢)،

وملخص هذا البرهان: انه لو أمكن وجود إلهين، لما وجد شيءٌ من هذا العالم؛ لأنَّهما إمَّا أن يتفقا على فعل الممكن، أو يختلفا ؛ فإنْ اتفقا على إيجاده ؛ فإمَّا أن يوجداه معاً؛ فيلزم اجتماع مؤثرين في أثر واحد ؛ لاشتراكهما في إيجاده ، وهذا دليلُ عدمِ إمكان قيام أحدهما بإيجاده، فحينها يكونان عاجزين ، ولا يصح أن يكون العاجز إلهاً ، وإما أن يوجداه مرتباً بأنْ يوجده أحدهما أولا، ثم يوجده الآخر؛ فعند ذلك يلزم أن يوجد أحدهما بعضا، والآخر يوجد بعضا آخر؛ فيلزم عجزهما حينئذ ؛ لأن أحدهما لن يكون في مكنته إنفاذ إرادته في القسمين معا؛ بل في واحد منهما ، وإن اختلفا في وجوده وعدمه بأنْ أراد أحدهما إيجاده والآخر عدمه؛ فإمَّا أن تقع الإرادتان معا، وهذا محال، أن يكون الشيء الواحد موجودا ومعدوما في آن وزمان ومكان واحد، وسيلزم اجتماع الضدين، وإمَّا أن ينفذ أحدهما إرادته

دون الأخر؛ فيلزم عجز من لم تنفذ إرادته ، وعجز من نفذت إرادته أيضاً ؛ لأنَّه مماثل له، ومماثل العاجز عاجز.

٢) صفة القِدم:

معنى القدم في حقه تعالى : هو عدم الأولية أو عدم افتتاح وجوده تعالى ؛ فالقديم هو الذي لا أول له، وضده الحادث وهو ماله بداية، وأول . والمراد بالقِدم في حقه تعالى القِدم الذاتي، وهو عدم افتتاح الوجود أو عدم الأولية للوجود ، وأما القِدم في حق الحوادث ؛ فالمراد به الزماني وهو طول المدة، ومنه قوله تعالى: ﴿ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴾ (يس: ٣٩)، وهو بهذا المعنى مستحيل في حقه تعالى .

وأدلة صفة القِدم من النقل والعقل ما يأتي:

الدليل النقلي:

قوله تعالى:﴿ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (الحديد: ٣)
ووجه الدلالة: ما قرره ابن جرير رحمه الله تعالى بقوله: (هو (الأول) قبل كل شيء بغير حدٍّ، و(الآخر) بعد كلِّ شيء بغير نهاية، وإنَّما قيل ذلك كذلك، لأنه كان ولا شيء موجوداً سواه، وهو كائن بعد فناء الأشياء كلها، كما قال جل ثناؤه:﴿ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ﴾.

وأمَّا الدليل العقلي:

فهو لو لم يكن قديماً لكان حادثاً؛ إذ لا وسط بينهما ، ولو كان حادثاً لاحتاج إلى محدث يحدثه، ومحدثه يحتاج إلى محدث وهكذا؛ فليزم الدور أو التسلسل، وكلاهما محال؛ فوجب أن يكون قديما .

ومن جميل ما يُذكرُ هنا قولُ ابن القيم الجوزية ؛ إذ يقول : فعبوديته باسمه الأول تقتضي التجرد من مطالعة الأسباب أو الالتفات إليها، وتجريد النظر إلى مجرد سبق فضله ورحمته، وأنه هو المبتدئ بالإحسان من غير وسيلة من العبد؛ إذ لا وسيلة له في العدم قبل وجوده، وقد أتى عليه حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا، ووسمك بسمة الإيمان، وجعلك

من أهل قبضة اليمين ؛ فعصمك عن العبادة للعبيد ، وأعتقك من التزام الرق لمن لـه شكل وندية ، ثم وجه وجهة قلبك إليه سبحانه دون ما سواه ؛ فاضـرع إلى الـذي عصمك مـن السجود للصنم ، وقضى لك بقدم الصدق في القدم أن يتم عليك نعمة هو ابتدأهـا، وكـانـت أوليتها منه بلا سبب منك ، وعليك بالمطـالب العاليـة والمراتب السـامية التي لا تنـال إلا بطاعة الله ؛ فإن الله سبحانه قضى أن لا ينال ما عنده إلا بطاعته ، ومن كان لله كمـا يريد كان الله له فوق ما يريد؛ فمن أقبل إليه تلقاه من بعيد ، ومن تصرف بحوله وقوته ألان لـه الحديد ، ومن ترك لأجله أعطاه فوق المزيد ، ومن أراد مراده الديني أراد ما يريد، واقصر حبك وتقربك على من سبق فضله وإحسانه إليك كل سبب منك ، بل هو الذي جـاد عليـك بالأسباب ، وهيأ لك ، وصرف عنك موانعها ، وأوصلك بها إلى غايتك المحمودة ؛ فتوكل عليه وحده وعامله وحده ، وآثر رضاه وحده ، واجعل حبه ومرضاته هو كعبة قلبك التـي لا تزال طائفا بها مستلما لأركانها واقفا بملتزمها؛ فيا فوزك ويا سعادتك إن أطلـع سبحانـه على ذلك من قلبك ماذا يفيض عليك من ملابس نعمه وخلع أفضاله؛ فمن نزل اسمه الأول على هذا المعنى أوجب له فقرا خاصا وعبودية خاصة .

٣) صفة البقاء:

وهو امتناع لحوق العدم بذاته سبحانه وتعالى ، أي أن الله تعالى أبدي ليـس لوجـوده آخر؛ فيستحيل أن يلحقه العدم والفناء .

وأدلة صفة البقاء من النقل والعقل ما يأتي:

الأدلة النقلية:

قوله تعالى:﴿ هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلۡبَاطِنُۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ﴾(الحديد: ٣).

وجه الدلالة: جاء في تفسير المراد من (الآخر): هو الباقي بعد فناء الخلق.

الأدلة العقلية:

إن ما ثبت قدمه استحال عدمه، وإلا لجاز عليه العدم ؛ فيحتاج إلى مرجح ؛ فيكون حادثا لا قديما، كيف وقد ثبت قدمه.

يقول ابن القيم: وعبوديته باسمه الآخر تقتضي أيضا عدم ركونه ووثوقه بالأسباب والوقوف معها؛ فإنها تنعدم لا محالة ، وتنقضي بالآخرية ، ويبقى الدائم الباقي بعدها ؛ فالتعلق بها تعلق بعدم وينقضي ، والتعلق بالآخر سبحانه تعلق بالحي الذي لا يموت ولا يزول؛ فالمتعلق به حقيق أن لا يزول، ولا ينقطع بخلاف التعلق بغيره مما له آخر يفنى به، كذا نظر العارف إليه بسبق الأولية حيث كان قبل الأسباب كلها، وكذلك نظره إليه ببقاء الآخرية حيث يبقى .

٤) صفة المخالفة للحوادث:

عدم مماثلة الله تعالى لشيء من الحوادث، ومعنى ذلك أن ذاته وصفاته تعالى مخالفة لكلِّ حادث، والمخالفة تكون بسلب الجرمية والعرضية والكلية والجزئية ولوازمها عنه تعالى؛ فلازم الجرمية التحيز، ولازم العرضية القيام بالغير، ولازم الكلية الكبر، ولازم الجزئية الصغر .

وأدلة مخالفته تعالى للحوادث من النقل والعقل كما يأتي:

الدليل النقلي:

قوله تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ (الشورى: ١١) .

وجه الدلالة: إن الله تعالى لا يتصف بصفات المحدثات ، ولا يطرأ عليه التحول والانتقال ، ولأنَّ هذه الصفات تدل على الحدوث ، والله تعالى يتقدس عن ذلك فلا يوجد شيء يناسبه أو يماثله .

الدليل العقلي:

لو لم يكن الباري مخالفا للحوادث لكان مثلها، ولو كان مثلها لكان حادثاً ، إلا أنَّه قد ثبت بالدليل القاطع قدمه؛ فثبت أنَّه سبحانه مخالف للحوادث .

٥) صفة القيام بالنفس :

ومعناه سلب الافتقار إلى المحل أو المخصص، أي أنه تعالى غير مفتقر إلى موجد يوجده، ولا إلى محل يقوم به ؛ فلا يحتاج الباري (سبحانه وتعالى) إلى مرجح يرجح وجوده على عدمه ، ولا محل يقوم به لأنَّ من يقوم بالمحل يحتاج إلى ذلك المحل ، والمحتاج لا يكون إلها .

واستدل العلماء على قيامه تعالى بنفسه بأدلة نقليه وعقلية منها:

الدليل النقلي:

قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ﴾ (فاطر: ١٥) .

ووجه الدلالة: افتقار الخلق إلى الله تعالى، وحاجتهم إلى فضله في جميع أمور الدين والدنيا؛ فهم الفقراء إلى الله تعالى، وهو الغني الحميد الذي لا يحتاج إلى أحد من خلقه .

الأدلة العقلية:

١- الدليل على عدم افتقاره إلى مخصص : لو افتقر إلى مخصص لكان حادثاً، كيف وقد سبق وجوب وجوده وقدمه، ذاتاً وصفاتٍ .

٢- دليل عدم افتقاره إلى محل: لو افتقر إلى محل لكان صفة، ولو كان صفة لم يتصف بصفات المعاني ، وهي واجبة القيام به تعالى ، للأدلة الدالة على ذلك، فثبت عدم افتقاره إلى محل .

أسئلة

السؤال الأول

مما لله تعالى صفة القدم، اذكر دليله من النقل والعقل.

السؤال الثاني

تعد صفة الوحدانية من الصفات السلبية وهي تنفي التعدد، فصل القول فيها.

السؤال الثالث

تكلم على صفة المخالفة للحوادث مع اقامة الدليل النقلي والعقلي عليها.

السؤال الرابع

حاول أن توجز الكلام على صفة القيام بالنفس مع بيان دليلها النقلي والعقلي.

السؤال الخامس

تكلم على صفة البقاء لله تعالى، مع ذكر الدليل النقلي والعقلي عليها.

ثالثاً: صفات المعاني وأدلتها

وهي كل صفة قائمة بذاته تعالى لا تنفك عنه لازمة لذاته ، تستلزم حكماً معينا له كصفة العلم مثلا؛ فهي تستلزم أن يكون المتصف بها عالما، وكصفة القدرة فهي تستلزم أن يكون المتصف بها قديرا ، وهكذا باقي الصفات ؛ فهذا القسم يدل على معنى زائد على الذات، وهو معنى وجودي، وصفات الكمال لله تعالى كثيرة، ولكنها تجتمع في سبع صفات رئيسة قام عليها الدليل التفصيلي من الكتاب والسنة والعقل، ولا يلزم من القول بها نفي وتعطيل غيرها؛ لأن غيرها مندرج تحتها، ولم يختلف المسلمون في إثبات هذه الصفات للباري (سبحانه وتعالى) في كونه عالما قادرا مريدا، ولكن الخلاف حصل في تفسير كيفية اتصافها به تعالى ؛ فقد نشأ خلاف في الصفات الثبوتية ومن أهمها الخلاف في زيادة الصفات على الذات وقدمها، وغير ذلك من الأمور التي تطلب في المطولات.

١) صفة العلم :

صفة أزلية قائمة بذاته تعالى تنكشف بها المعلومات عند تعلقها بها وجميع ما يمكن أن يتعلق به العلم؛ فهو معلوم له تعالى .

وضده الجهل وما في معناه، كالظن والشك والوهم، والذهول والغفلة والنسيان ، ومن المعلوم أن هذه الصفة ، وظيفتها الكشف والاطلاع على الشيء الموجود أو الغائب الذي لا يزال في حيز العدم .

ولقد استدل العلماء على علمه تعالى بالأدلة النقلية والعقلية وكما يأتي:

الأدلة النقلية:

قوله تعالى :﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾(البقرة: ٢٩)

ووجه الدلالة في هذه الآية: أي أنه تعالى لا يمكن أن يكون خالقاً للأرض وما فيها وللسموات وما فيها من العجائب والغرائب، إلا إذا كان عالما بها محيطا بجزئياتها وكلياتها، فان إتقان الأفعال وإحكامها على هذا النسق العجيب، والوجه الأحسن والأنسب للخلق لا يتصور إلا من عالم حكيم .

الأدلة العقلية:

إن الله تعالى فاعل فعلاً متقنًا محكمًا ، وهذا ظاهر لمن نظر في الآفاق والأنفس والأحياء، ومن كان فعله على هذا الإتقان لا يكون إلا عالما .

٢) صفة القدرة:

وهي صفة أزلية قائمة بذاته تعالى، يتأتى بها إيجاد كل ممكن وإعدامه على وفق الإرادة .
وقد استُدل على قدرته تعالى بالأدلة النقلية والعقلية وكما يأتي:

الأدلة النقلية:

١- قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (البقرة: ٢٠)

أي هو الله صاحب القدرة الشاملة لكل شيء؛ فهو (سبحانه وتعالى) القادر المقتدر على كل ممكن يقبل الوجود والعدم .

الأدلة العقلية:

لو لم يتصف الباري (سبحانه وتعالى) بالقدرة، لاتصف بنقيضها وهو العجز، ولو كان عاجزا، لما ظهر شيء من هذه الأكوان، كيف وقد ظهرت؛ فظهورها نافٍ للعجز.

٣) صفة الإرادة:

وهي صفة أزلية قائمة بذاته تعالى تخصص أحد المقدورين، من الفعل والترك في أحد الأوقات بالوقوع، مع استواء نسبة القدرة إلى الكل، ويراد منها المشيئة، وهو مذهب جمهور المتكلمين من اتحاد المشيئة والإرادة . واستدل العلماء على إرادته تعالى بالأدلة النقلية والعقلية وكما يأتي:

الأدلة النقلية:

قوله تعالى: ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ ﴾ (البقرة:١٨٥)

وجه الدلالة: دلت الآية على أن الله سبحانه، مريد بإرادة قديمة أزلية زائدة على الذات .

الأدلة العقلية:

لو لم يكن الله تعالى مريداً لكان مكرهاً، ولو كان مكرهاً لكان عاجزاً، ولو كان عاجزاً لما وجد شيء من هذه المخلوقات، وعدم وجود شيء من هذه المخلوقات باطل بالمشاهدة؛ فثبتت إرادته تعالى .

٤) صفة الحياة:

صفة الحياة: هي صفة أزلية قائمة بذاته تعالى تقتضي صحة العلم والقدرة والإرادة والكلام والسمع والبصر. ولقد استُدل على صفة الحياة بأدلة نقلية وعقلية أجملها بما يأتي :

الأدلة النقلية:

قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ﴾ (البقرة: ٢٥٥)

وجه الدلالة: هو أن الله تعالى وصف نفسه بالحي الذي يصح أن يعلم ويقدر وكل ما يصح له؛ فهو واجب لا يزول .

الأدلة العقلية:

الحياة صفة كمال، ونقيضها نقص، والله تعالى منزه عن النقائص .

٥) صفتا السمع والبصر:

صفة السمع: هي صفة أزلية شأنها إدراك كل مسموع، وإن خفي.

وصفة البصر: هي صفة أزلية شأنها إدراك كل مبصر، وإن لطف.

ولقد استدل العلماء على صفتي السمع والبصر بالأدلة النقلية والعقلية وكما يأتي:-

الأدلة النقلية:

١- قوله تعالى: ﴿ قَالَ لَا تَخَافَآۖ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾ ﴾ [طه:٤٦]

وجه الدلالة: قال الإمام الغزالي: (وإنه تعالى سميع بصير، يسمع ويرى لا يعزب عن سمعه مسموع وإن خفي ، ولا يغيب عن رؤيته مرئي وإن دق ، ولا يحجب سمعه بُعد،

ولا يدفع رؤيته ظلام، يرى من غير حدقة ولا أجفان، ويسمع من غير أصمخة ولا آذان .

الأدلة العقلية:

السمع والبصر صفتا كمال وقد اتصف بهما المخلوق؛ فهو تعالى الأحق بالاتصاف بهما، وإلا لزم أن يكون للمخلوق من صفات الكمال ما ليس للخالق .

٦) كلام الله - تعالى -

صفة الكلام: هي صفة أزلية قائمة بذاته تعالى، وهو بها آمرٌ، ناهٍ، ومخبرٌ وعبَّر عنها بالنظم، ما أوحاه الله تعالى إلى رسله عليهم السلام كالقرآن والتوراة والإنجيل، واتفق أرباب الملل والمذاهب على إثبات الكلام لله تعالى، ودليله قوله تعالى ﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمًا ﴾ [النساء:١٦٤] ولكن اختلفوا في تحديد معنى الكلام كما اختلفوا في حدوثه أو قدمه،.وقد قسم جمهور العلماء الكلام على نوعين هما:

أ- الكلام النفسي:

وهو الكلام حقيقة المعبر عنه بالألفاظ ليس من جنس الحروف والأصوات، بل هو صفة أزلية قائمة بذات الله تعالى منافية للسكوت، أو الآفة وهو بهذا الإطلاق قديم غير مخلوق.

وقد استدلوا على ثبوت الكلام النفسي بأدلة عدة منها:

قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ لَوۡلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُۚ حَسۡبُهُمۡ جَهَنَّمُ﴾ (المجادلة: ٨)

ووجه الدلالة: إن القول بالنفس قائم وإن لم ينطق به اللسان والقول هو الكلام، والكلام هو القول ، وفي هذا رد على المخالفين بحصر الكلام في الحروف والأصوات فكلاهما حادثان .

ب- الكلام اللفظي:

وهو الحروف والأصوات الحادثة، وهي غير قائمة بذاته تعالى لحدوثها، فالقرآن الذي نقراه وهو الحروف والأصوات فهو مخلوق أو حادث، ولكن يمتنع أن يقال القرآن حادث ، إلا في مقام التعليم، لأنه ربما أوهم أن القرآن بمعنى كلامه تعالى النفسي حادث .

أسئلة

السؤال الأول

من صفات المعاني لله تعالى صفة العلم تكلم على إثباتها بالدليل النقلي والعقلي.

السؤال الثاني

فصل القول في صفة الكلام وبين المذهب المعتمد في المسألة مع ذكر الأدلة عليه.

السؤال الثالث

تكلم على دلائل إثبات صفتي السمع والبصر.

السؤال الرابع

تكلم على صفة العلم واذكر دلائلها من النقل والعقل.

السؤال الخامس

فصل القول في صفة القدرة وبيان دلائل إثباتها نقلا وعقلا.

رابعاً: الصفات المعنوية:

سمّيت هذه الصفات بالمعنوية ؛ لأنها منسوبة إلى المعنى الذي هو مفرد المعاني، وتعريفها اصطلاحاً: هي الأوصاف المشتقة من صفات المعاني السبع المذكورة، وهي أنه تعالى : قادر، مريد، عالم، حيّ، سميع، بصير، متكلم.

فيجب له تعالى سبع صفات تسمى صفات معنوية ، وهي ملازمة للسبع المعاني الأولى، المسماة بالمعاني ، ويشترط في المعنوية الكينونة ، أي: كونه قادراً، وكونه سميعاً...إلخ.

وبإمكاننا إيراد الصفات المعنوية كما يأتي:

الأولى: كونه - تعالى - قادراً : أي له قدرة يظهر بها كل شيء أراده .

والثانية: كونه - تعالى - مريداً: أي له إرادة يخصص بها كل شيء علمه.

والثالثة: كونه - تعالى - عالماً: أي له علم يكشف به عن المعلومات ، على ما هي عليه في قبولها للظهور والتخصيص.

والرابعة: كونه - تعالى - حيّاً : أي له حياة تصحح لذاته الاتصاف بصفات المعاني المذكورة .

والخامسة: كونه - تعالى - سميعاً: أي له سمع يدرك به جميع الموجودات الواجبة والممكنة .

والسادسة : - كونه - تعالى - بصيراً: أي له بصر يدرك به جميع الموجودات أيضاً، الواجبة والممكنة سواء كانت من قبيل الصور والهيئات ، أو المعاني والمجردات أو المطلقات عن التقيدات كالذات العلية والصفات .

والسابعة : كونه تعالى- متكلماً: أي له كلام متعلق بجميع الأشياء المكشوفة لذاته تعالى يظهرها لحضرة صفاته ، والحاصل أن هذه الصفات المعنوية السبعة كناية عن قيام صفات المعاني السبعة بالذات العلية.

المطلب الثاني المستحيل في حق الله تعالى

بدأنا بالمستحيلات لا الجائزات؛ لأنَّها اضداد للواجبات والضد أقرب حضورا بالبال عند ذكر ضده؛ فناسب أن نبدأ به، والمستحيلات في حق الله تعالى لا تتناهى كالواجبات، والمستحيلات كما تقدم هي التي لا يتصور في العقل وجودها ، والجائزات التي يصح في العقل وجودها وعدمها؛ فإن الله تعالى واجب في ذاته وصفاته وأفعاله وأحكامه، ويستحيل عليه شيء من المستحيل العقلي كالشريك، والولد، والصاحبة، وأن يتصف بشيء من الجائز العقلي كذات العالم، وصفاته، وأفعاله، وأحكامه.

فيجب له تعالى، عشرون صفة، وهي أضداد العشرين الأولى الواجبة، ولهذا اقتصر عليها ولم يذكر أكثر من ذلك من المستحيلات، وهي على النحو الآتي:

الأولى: **منها العدم**: ضد الوجود ، وهو الانتفاء والسلب ؛ فيستحيل على الذات العلية والصفات الأزلية .

والثانية: **الحدوث**: وهو ضد القدم ، والحدوث هو التجدد والاتصاف بالوجود بعد العدم؛ فيستحيْل على ذات الله تعالى، وعلى كلِّ صفة من صفاته، وكلُّ فعل من أفعاله، وكلُّ حكم من أحكامه، وإلا كان الله تعالى حادثاً بسبب حدوث شيء من ذلك له تعالى والحادث لا يكون إلهاً .

والثالثة: **طرو العدم**: أي: لحوق العدم لذاته تعالى أو لصفة من صفاته، أو لفعل من أفعاله أو لحكم من أحكامه، وذلك ضد البقاء وهو الفناء والزوال فيستحيل على الله تعالى، وإلا كان الله تعالى حادثاً لان كل ما يقبل العدم يكون حادثاً.

والرابعة: **المماثلة للحوادث**: أي المشابهة، ولو بوجه من الوجوه في الذات أو في الصفات أو الأفعال أو الأحكام للحوادث: أي المخلوقات ؛ فيستحيل على الله تعالى شيء من ذلك، وإلا لكان حادثاً مثل ذلك الشيء المماثل له؛ لأن مماثل الحادث حادث.

الصفة الخامسة: **أن لا يكون قائماً بنفسه**: أي لا يكون ثابتاً وموجوداً بذاته، وهو ضد القيام بالنفس، والمراد أنه ليس بعرض، أو يحتاج إلى فاعل يخصصه بمكان

عن مكان أو زمان عن زمان أو مقدار عن مقدار أو صورة عن صورة ونحو ذلك من صفات الأجسام.

الصفة السادسة : **التعدد:** وهو ضد الوحدانية ، بأن يكون سبحانه وتعالى مركباً: أي له أجزاء يتركب منها في ذاته العلية كما تزعم النصارى في الأقانيم الثلاثة: أقنوم الوجود، وأقنوم الحياة، وأقنوم العلم؛ ثم يقولون: إنَّما هو إله واحد!، وكما تزعم اليهود في قولهم: بأنَّ الله تعالى جسم مستلقٍ على العرش، وقد تعب من خلق السماوات والأرض؛ فاستراح في يوم السبت، وقد كان بدء الخلق يوم الأحد، ثم يقولون: هو إله واحد!

الصفة السابعة: **العجز:** وهو ضد القدرة عن إيجاد أو إعدام أي شيء من الأشياء الممكنة سواء كان عظيماً، أو حقيراً، كبيراً، أو صغيراً .

والصفة الثامنة : **الإكراه والذهول والغفلة:** أي إيجاد وإعدام شيء عظيم أو حقير من العالم مع كراهته لذلك أو الذهول عنه والغفلة، وبالمحصلة: عدم إرادته له تعالى، وضدها الإرادة، لا كما يزعم ذلك بعض الفلاسفة القائلين بنفي الصفات الإلهية و إثبات الآثار صادرة عن ذات الباري تعالى على جهة أنه تعالى علة لإيجادها وإعدامها من غير إرادة ولا اختيار، ويسمونه تعالى علة العلل ، أو إيجاد شي من العالم أو إعدامه مع الطبع بحيث تنتفي الإرادة والاختيار عنه تعالى كما يزعم ذلك الطبائعيون في اعتقادهم أن الله تعالى يؤثر في العالم بطبعه المقتضي للإيجاد والإعدام، وهو على الله تعالى محال، للزومه أن يدخل تعالى تحت قدرة غيره وإرادة غيره.

الصفة التاسعة: **الجهل:** وهو ضد العلم وما في معناه كالشك : وهو استواء الطرفين، والوهم: وهو رجحان جانب الخطأ ، والظن : وهو رجحان جانب على جانب؛ فكل ذلك مستحيل عليه تعالى. الصفة العاشرة: الموت: وهو ضد الحياة؛ فيستحيل على الله تعالى، وإلا لما اتصف بالقدرة والإرادة ونحوهما من الصفات .

والحادية عشرة : **الصمم** : وهو ضد السمع ؛ فيستحيل عليه تعالى أن ينشغل بمسموع عن مسموع؛ لأنه يصير أصمَّ عما انشغل عنه.

والثانية عشرة : **العمى**: وهو ضدُ البصر؛ فلا تشغله تعالى رؤية شيء عن شيء آخر ، وإلا لكان أعمى عن الشيء الآخر، وهو محال .

والثالثة عشرة : **البكم** : وهو ضد الكلام، وكذلك يستحيل عليه السكوت.

والرابعة عشرة: كونه عاجزاً عن ممكن ما من الممكنات، وضده كونه قادراً.

والخامسة عشرة: **الكراهة** ، وهو كونه يوجد شيئاً من العالم مع كراهته لوجوده كما سبق، وضده كونه مريداً.

والسادسة عشرة : كونه جاهلاً بمعلوم ما وما في معنى الجهل، وضده كونه عالماً.

والسابعة عشرة : كونه ميتا وضده كونه حياً.

والثامنة عشرة : كونه أصم، وضده كونه سميعاً.

والتاسعة عشرة : كونه أعمى وضده كونه بصيراً.

والعشرون : كونه أبكم ، وضده كونه متكلما، وهذه تمام العشرين صفة المستحيلة.

المطلب الثالث الجائز في حق الله تعالى

فالمراد به : فعل كل شيء ممكن من الممكنات العلوية والسفلية ، أو تركه ؛ فلا يجب على الله تعالى شيء من الممكنات عقلاً ، كما لا يستحيل عليه تعالى شيء منها عقلاً ؛ بل جائز أن يفعل من الممكنات ما يشاء ، ويترك ما يشاء بالاختيار المطلق ، وليس لأحد استحقاق على الله سبحانه وتعالى في فعلٍ من الأفعال؛ لأنه فعالٌ لما يريد ، وهو متصف بالقدرة والإرادة وهو العليم الخبير، وهو على كل شيء قدير؛ فلا يجب عليه شيء ، ولا يقبح منه شيء، وله أن يعاقب المقصر والمذنب عدلا منه، وله أن يعفو عنه تفضلا وتكرما ، فهو وحده الخالق للإيمان والطاعة ، وهو أيضا وحده الخالق للكفر والمعاصي ؛ فمن يهد الله فهو المهتد، ومن يضلل فلا هادي له ، وهو الخالق للمرض والشفاء، وهو الخالق للصحة والمرض، وهو الخالق للغنى والفقر، وهو يعز من يشاء ويذل من يشاء، ويرفع من يشاء ويخفض من يشاء، قال تعالى:

﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلۡمُلۡكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُۖ بِيَدِكَ ٱلۡخَيۡرُۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٢٦ تُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِۖ وَتُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَتُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّۖ وَتَرۡزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴾ (آل عمران:٢٦ - ٢٧)، وقال تعالى: ﴿ لَا يُسۡـَٔلُ عَمَّا يَفۡعَلُ وَهُمۡ يُسۡـَٔلُونَ ﴾ (الأنبياء: ٢٣).

فلَا سائل يسأل رب العرش عن الذي يفعل بخلقه من تصريفهم فيما شاء من حياة وموت وإعزاز وإذلال و غير ذلك من حكمه فيهم؛ لأنهم خلقه وعبيده ، وجميعهم في ملكه وسلطانه ، والحكم حكمه ، والقضاء قضاؤه ، لا شيء فوقه يسأله عما يفعل فيقول: له لم فعلت؟ ولم لم تفعل؟

فيكون الجائز في حقه تعالى : فعل كل ممكن أو تركه، كالإيجاد والإعدام ، والإسعاد والإشقاء، والإعطاء والمنع، والإثابة والتعذيب، وإثابة المطيع وتعذيب العاصي، ويدل على أن فعل كل ممكن وتركه جائز في حق الله : أنه قد وجب اتصافه تعالى بالقدرة والإرادة والعلم والوحدانية؛ فثبت له الاختيار المطلق في جميع شؤونه، فيجوز منه تعالى فعل كل ممكن وتركه.

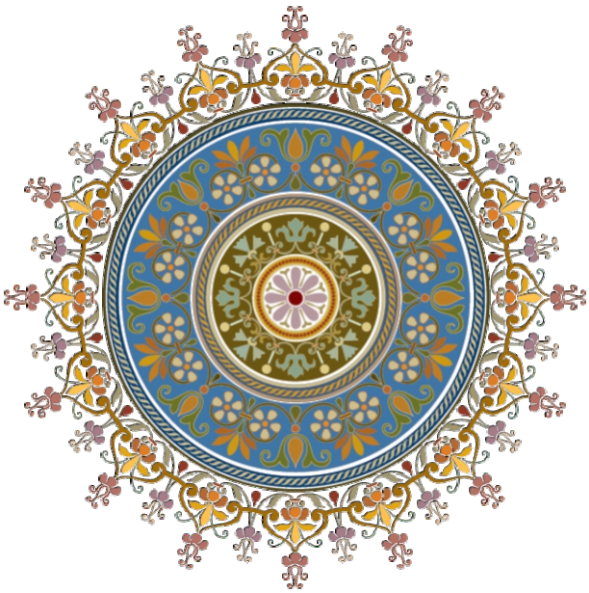

أسئلة

السؤال الأول

حدد المراد من الصفات المعنوية وعددها بالتفصيل.

السؤال الثاني

الصفات المستحيلة على الله تعالى هي ما تكون أضداد الصفات العشرين وضح ذلك.

السؤال الثالث

التعدد من الصفات المستحيلة، وضح ذلك.

السؤال الرابع

الإكراه من الصفات التي يستحيل أن يتصف بها الباري، وضح ذلك.

السؤال الخامس

ما الجائز في حق الله تعالى، فصل القول في ذلك.

السؤال السادس

ارسم مخططاً توضح فيه أنواع صفات الله عزوجل وما يندرج تحت كل نوع .

المطلب الرابع القضـاء والقـدر

يعد مبحث القضاء والقدر من أعقد المباحث التي خاض فيها المتكلمون؛ فتاه أكثرهم في هذا الباب، واضطربت آراؤهم وتحيرت مناهجهم، وخير كلمة قالها عالم في هذا الباب هي كلمة الشيخ الرباني عبد القادر الكيلاني حين قال: "كَثِيرٌ مِنْ الرِّجَالِ إذا وَصَلُوا إلى الْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ أَمْسَكُوا وَأَنَا انْفَتَحَتْ لِي فِيهِ رَوْزَنَةٌ فَنَازَعْتُ أَقْدَارَ الْحَقِّ بِالْحَقِّ لِلْحَقِّ" ، أي لا يجوز الاحتجاج بالقدر على معاصي الله تعالى ، كما لا يجوز تسويغ الأفعال الإجرامية بقدر الله تعالى ؛ بل لابد أن نزيل الشر بالخير بحسب الإمكان ، ونزيل الكفر بالإيمان ، والبدعة بالسنة ، والمعصية بالطاعة من أنفسنا، ومن عندنا ؛ فكلُّ مَن كفر، أو فسق، أو عصى ؛ فعليه أن يتوب ، وإن كان ذلك بقدر الله، وعليه أن يأمر غيره بالمعروف ، وينهاه عن المنكر بحسب الإمكان، ويجاهد في سبيل الله ، ويصلح نفسه ما استطاع إلى ذلك سبيلا ، وفيما يأتي نسلط الضوء على حقيقة القضاء والقدر وبيان رأي أهل السنة في حكم الإيمان به.

أولاً: تعريف القضاء والقدر لغة :

١ـ القضاء لغة :

مصدر مأخوذ من قضى يقضي قضاءً، وهو الخلق ، وقضى الشيء قضاء، صنعه وقدره ومنه قوله تعالى: ﴿ فَقَضَىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ فِي يَوۡمَيۡنِ وَأَوۡحَىٰ فِي كُلِّ سَمَآءٍ أَمۡرَهَاۚ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفۡظٗاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ﴾ (فصلت: ١٢).

وهو بمنزلة البنّاء، والقضاء والقدر أمران متلازمان لا ينفك أحدهما عن الآخر، فمن رام الفصل بينهما فقد هدم البناء ونقضه.

٢ـ القدر لغة :

وهو مصدر من قدر قدراً، معناه التقدير، ووضع الشيء في موضعه المناسب لـــه ، وهو بمنزلة الأساس للأشياء قبل تكوينها وخلقها. والقدر مبلغ الشيء.

ثانياً: تعريف القضاء والقدر اصطلاحاً:

١ـ القضـــاء :

وهو علم الله (سبحانه وتعالى) في الأزل بالأشياء كلها على ما ستكون عليه في المستقبل أي أن القضاء يرجع إلى صفة العلم وهو متقدم على القدر، قال تعالى:

﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴾ (الحجر: ٢١)

أي أن جميع الأشياء مقدورة لله تعالى محجوبة عن الخلق.

ويعرفون القدر بأنه: **(إيجاد الله الأشياء بالفعل طبقاً لعلمه الأزلي المتعلق بها).**

ثالثاً: رأي أهل السنة في إثبات القدر :

من المعلوم أن أفعال العباد يراد منها، كل فعل يصدر من المخلوق سواء كان مكلفاً أم غير مكلف، وقد وقع الخلاف في هذه المسألة، ومحل الخلاف فيها (أفعال العباد الاختيارية)، أمَّا الأفعال التي لا قدرة للإنسان فيها، ولا قصد، فلا خلاف فيها أنَّها مخلوقة لله تعالى، ومن هنا نفهم أنَ العلماء قسموا أفعال الإنسان على قسمين هما:

١) أفعال اضطرارية:

وهي التي لا قدرةَ للإنسان ولا اختيارَ له فيها كحركة المرتعش ، وحركة الأمعاء والقلب وغيرها من الأفعال، وقد اتفقت الفرق الإسلامية على أنها مخلوقة لله تعالى.

٢) أفعال اختياريـة :

وهي تلك الأفعال التي خُيرَ فيها الإنسان بين الفعل والترك، ويكون للإنسان فيها قدرة

واختيار، كالقيام والسير، والكلام والقراءة، وغيرها ، وهذه الأفعال محل خلاف بين الفرق الإسلامية، هل هي مخلوقة لله تعالى، أو يُصدرها الإنسان نفسه؟

وقد استطاع أهل السنة أن يكونوا مذهباً وسطاً في هذه القضية بين من قال بالجبر، وبين من قال بالاختيار المطلق، وذلك من خلال نظرية الكسب، التي أنزلت الإنسان إلى واقعه البشري؛ فجعلوه كاسباً لأفعاله لا خالقاً لها، عاملاً بإرادته، ولكن في ظل إرادة الله تعالى ومشيئته؛ فتوسط أهل السنة والجماعة بين القدرية والجبرية ؛ فلم ينفوا الاختيار عن أنفسهم بالكلية، ولم ينفوا القضاء والقدر عن الله تعالى؛ بل قالوا: أفعال العباد من الله تعالى من وجه ، ومن العبد من وجه ، وللعبد حرية الاختيار والكسب؛ فالله تعالى خالق كل شيء، ولا خالق سواه ؛ فإنَ جميع الموجودات ، خلق له تعالى ؛ فأفعال الإنسان قليلها وكثيرها وقبيحها خلقها الله تعالى، فهي منه خلقٌ، وللعباد كسب .

وقد استدل أهل السنة والجماعة على إثبات القضاء والقدر، وأنَ الإنسان ليس له من أعماله إلا الكسب بأدلة نقلية وعقلية منها ما يأتي:

الأدلة النقلية:

قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ﴾ (الزمر: ٦٢).

وجه الدلالة: أن هذه الآية الكريمة تدل على أن أفعالنا مخلوقة، والله تعالى قد أدخلَ في خلقه أفعال العباد، وكلٌّ مخلوق ، وفي هذا استحالة إثبات خالق غير الله تعالى ،

وقوله تعالى: ﴿ أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ﴾ (الملك: ١٤) ، فجعل خلقه دليلاً على علمه ، وفي ذلك دليل على أن الخالق للشيء لا بدَ أن يكون عالماً به ، ونحن نعلم أن العبد غير عالم بتفاصيل أفعاله؛ فوجب أن لا يكون موجدا لها.

الأدلة العقلية:

إن العبد لو كان موجداً للأشياء لكان عالماً بتفاصيلها، ضرورة أن إيجاد الشيء بالقدرة والاختيار، لا يكون إلا كذلك، واللازم باطلٌ، أي الواقع أنه لا يعلمها، فإنَ النائم تصدر عنه أفعال اختيارية لاشعور له بتفاصيلها، وكذلك الماشي انساناً كان أو غيره يقطع مسافة معينة في زمان معين من غير شعور له بتفاصيل الأجزاء وحركات مشيه وسرعتها، وليس هذا هو العلم، بل لو سئل عنها لما علمَ، وهذا في أظهر أفعاله .

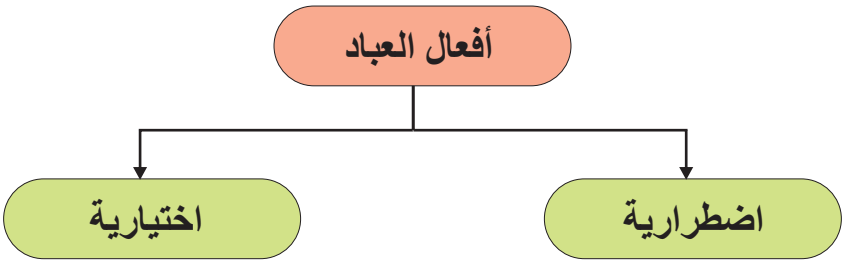

أسئلة

السؤال الأول

عرف القضاء والقدر في اللغة والاصطلاح.

السؤال الثاني

تنقسم أفعال العباد على قسمين وضحها بالتفصيل.

السؤال الثالث

لقد استطاع أهل السنة أن يكونوا وسطا بين القدرية والجبرية وضح ذلك.

السؤال الرابع

استدل أهل السنة على أن ليس للإنسان إلا الكسب وضح ذلك مع ذكر الدلائل النقلية والعقلية.

الفهرست

المقدمة	١
الوحدة الأولى : مقدمة في العقيدة	٣
المطلب الأول : خصائص العقيدة الاسلامية	٥
المطلب الثاني : مصادر التلقي والاستدلال في العقيدة الاسلامية	١٠
الوحدة الثانية : الحكم وأقسامه	١٣
المطلب الأول : تعريف الحكم لغة واصطلاحاً	١٥
المطلب الثاني : أقسام الحكم	١٧
الوحدة الثالثة : الحكم العقلي في مبحث الإلهيات	٢٣
مدخل	٢٥
المطلب الأول : الواجب في حق الله تعالى	٢٦
المطلب الثاني : المستحيل في حق الله تعالى	٤٨
المطلب الثالث : الجائز في حق لله تعالى	٥١
المطلب الرابع : القضاء والقـــدر	٥٤
الفهرست	٥٩

تم بحمد الله